مذكرات واعظ

(صور من الواقع)

للأستاذ محمد الطعمى — واعظ بالأزهر

اهتزت القرية اهتزازاً عنيفاً — ولفها قلق واعتلاها صخب وباتت منطوية على نفسها تسأل الله السلامة من معركة طاحنة منتظرة قد يهلك فيها الصغير والكبير ، وقد يمتد شواظها ويتناثر شررها فتصيب المظلوم قبل الظالم وتأخذ المسىء بعد البرىء ، فقد انقسم أهلها شيعاً وغدوا ينتظرون وقوع الشر بين آونة وأخرى ، وهؤلاء وهؤلاء أعدوا ما استطاعوا من أدواة السفك والتدمير والخراب تأهباً للقتال..

وترجع أسباب الخلاف إلى أمر محزن مضحك حقاً ، أمر تافه استمعوا له وتناقشوا فيه فاحتدم النقاش ، وانتفخت الأوداج واحمرت العيون فأمسوا غاضبين وأصبحوا ساخطين ، ومما زادهم غضباً وسخطاً طغمة من الناس من مصلحتهم ومن شأنهم أن يبذروا العداوات ويجددوا الحزازات لكى يعيشوا على حسابها ويتفرجوا على أتونها ولله فى خلقه شئون .

أسباب الاختلاف يا سيدى القارىء أنهم جلسوا يستمعون موعظة من رجل لا عالم ولا جاهل — بين بين — قرأ لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — « إن الله يحب الصمت عند ثلاث . عند خروج الجنازة ، وقراءة القرآن ، والزحف فى سبيل الله ، وفى شرح الحديث قال لهم ، إن من كبائر الذنوب أن تخرجوا بالجنائز قائلين لا إله إلا الله ولعلكم من اليوم توافقوننى على قطع دابر هذه العادة الخبيثة ، وبذلك تتفادون غضب الجبار عليكم وعلى أمواتكم .. فاعترضه رجل من المستمعين وقال له

— علمك هذا جديد علينا من يومنا واحنا نقولوا لا إله إلا الله ورا الجنائز فسيادتك تحرمها علشان إيه ؟

فابرى له الشيخ قائلا .

أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين

أمثالكم ، حقاً إنكم أغبياء - ويجب علىّ من اليوم أن أكتم على عن ذوى الجهل طاقتى ، ياسفهاء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذبونى ، لقدفسد الزمان وتقدم الجاهل على العالم وتطاول الأعمى على البصير فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . .

.. سمع الرجل هذه الشتائم القاسية من فم الشيخ فاعتبرها إهانة تمس الشرف والرجولة والعائلة فاحمر وجهه واصفر ثم قال :

— ياحاضرين .. ياسامعين بذمتكم سمعتم طول عمركم أن لاإله إلاالله وراء الميت حرام إلا من الشيخ « إيدن » السفيه الأحمق .

لم تكد كلمة « إيدن » تصل إلى آذان المستمعين حتى استغرق بعضهم فى ضحك عميق متواصل ، ولم تكد تصل إلى آذان الشيخ حتى ثار وفار وكشر وزمجر وأقسم ألا يجالسهم بعد اليوم وسوف ينتقم لنفسه ويؤدب الهمج ولو اندلعت فتنة حمراء ، وفعلا قام الشيخ لاعناً مغاضباً - وله شيعة اتبعوه لاعنين غاضبين ، وعلى هذا انقسمت القرية الكبيرة جداً إلى معسكرين كبيرين واستعدوا للقتال ، وزاد الطينة بلة أفراد من القرية أشعلوا الفتنة بسرعة وجعلوها مؤكدة الوقوع الأمر الذى دعا السيد مفتش الوعظ إلى انتداب بعثة من الوعاظ لإخماد هذه الحركة الطائشة . .

.. وصلتنى اشارة تليفونية مؤداها احضر لمقابلتنا فى مركز كذا فى يوم الجمعة بتاريخ كذا والحذر من التأخير للأهمية ؟

مفتش الوعظ بمنطقة كذا

وصلت المركز فى الصباح الباكر من يوم الجمعة المحدد فوجدت السيد المفتش على المحطة ، ومعه جماعة من الوعاظ ، وبعد السلام دار الكلام فقص علينا السيد المفتش الحكاية من أولها إلى آخرها ، حكاية هذه الفتنة التى ثارت من أجل تشييع الموتى .

— فقلت له إن من عادة القرويين أن يتخلصوا يوم الجمعة من مشاغلهم لحضور الصلاة وربما أدى هذا التجمهر إلى نتيجة سيئة .

فأجابنى السيد المفتش لا يكون ذلك أبداً ، وأنه سيعقد بنا اجتماعاً خاصاً فى القرية ، ثم قال : الأولى أن نسارع بالذهاب إليها لنغتنم الوقت والفرصة معاً . . وقفت بنا العربات أمام دار العمدة فدخلناها ، وعلى الفور اختلينا

فى حجرة ، ويبدو أن السيد المفتش كان دارساً الموقف بدقة تامة حتى أن مساجد القرية كان يعلم عددها وأماكنها فوزعنا عليها ، وقال : أنا شرحت لكم الموقف تماماً ، وقلت لكم أن هنالك أصابع خفية تحرك هذه الفتنة لحسابها والعصبية رأس الداء فروا المصلين بالاتحاد وانهوهم عن التنازع وبينوا أثر كل منهما بالنسبة للأفراد والجماعات وحاولوا ألا تتكلموا فى هذا الموضوع إلا بقدر . .

قال واعظ للسيد المفتش . لو سئلنا فى نفس الموضوع ماذا نقول ؟؟

— قولوا الذكر أثناء السير بالجنازة وعدمه سيان ، فلو ذكرتم لا إثم عليكم ولو صمتم لا تأثمون ولا تؤجرون . . وأحرصوا فى الإجابة بقدر الإمكان وحاولوا أن تكونوا لبقين موحدين الصفوف ما استطعتم إلى ذلك سبيلا .

خطبت الجمعة وبينت أثر الاتحاد ومضار التنازع . وبعد الصلاة شرحت قول الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وفى خلال الشرح سأل سائل ما رأيك فى كلمة لا إله إلا الله ورا الجنايز !

— قلت لا بأس بها خلف الجنايز كما أن تركها لا يضر ، وهذه مسائل يجب ألا تثير فتنة بين المسلمين الذين خلقهم الله لمستقبل أعظم ، والعالم اليوم يفكر فى غزو السماء . فيجب علينا أن ننفض هذه الخلافات وأن نسير قدماً إلى الأمام . . إلى العمل المثمر وأن ننصح ونعظ باللين والحسنى . .

ما رأيك فى الطرق الصوفية ؟

— لا مانع منها وهى توصل إلى سعادة الدنيا والدين ما دامت فى حدود الكتاب والسنة لأنها المنهج القويم للاسلام والمسلمين .

— ما رأيك فى دعاء نصف شعبان؟

— الدعاء مطلوب فى كل زمان ومكان وليلة نصف شعبان من الزمان طبعاً . . هذا ولما وجدت المصلين المزدحمين فى المسجد أسئلتهم خلافية فى حد ذاتها أخذت أزودهم بالنصائح وأنهاهم عن الاختلاف فى كل شىء وضربت لهم أمثالا عديدة تدعو للوئام وقلت لهم إن الاتحاد له أثر طيب فى تنمية الزرع وزيادة الإنتاج عكس التنازع فسكتوا وبان على وجوههم الرضا والقبول ، ثم أمرتهم بالاستغفار فاستغفروا ربهم وخرجوا من المسجد فى صفاء .

... غادرنا القرية بعد أن هدأت العاصفة وسكنت الفتنة وتزاور المتخاصمون ، ولما ذهبوا وذهبنا معهم إلى الشيخ المزعوم « ايدن » عاتب أصحابه الذين أطلقوا عليه هذا اللقب الخبيث ووصفهم بالعقوق ، وقال فيما قال .. كيف أوصف « بايدن » الكافر وأنا من علماء المسلمين ؟! وكيف يطلق عليّ هذا الاسم الملعون وأنا أصلي بهم وأبين لهم الحلال من الحرام كيف ؟؟ .

الحمد لله .. لقد كان لبعثة الوعظ وعلى رأسها السيد المفتش فضل كبير فى إخماد الفتنة وإزالة الجفوة .. نعم بهم حل الصفاء فشكرا للسيد مفتش الوعظ والوعاظ ..

... غادرنا القرية على ما يرام ولكن مازالت هذه الأسئلة وأشباهها تعرض فى الريف وغير الريف ويتولى الأجوبة عنها أنصاف من المتعلمين وجهلاء من الناس فيشوهون الحقيقة ويستغلونها طاقة للعدوان والشنآن فمتى يسمع هؤلاء وهؤلاء قول الله تعالى « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .. »

محمد على الطعمى

مقام الإحسان

روى مسلم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا ، رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال فأخبرنى عن الإحسان ، قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »